

## الفصل الثالث

### لمحات من الكتاب والسنة حول الآباء والأبناء

أولاً: وصايا وحكم من الآباء للأبناء :

#### ١- وصايا لقمان الحكيم لابنه :

تحدث القرآن الكريم عن لقمان الحكيم كما تحدثت عنه كتب التاريخ ، وذكرت أنه حكيم العرب وفيلسوفهم . وأصله وزمن وجوده محل خلاف ، وأصح ما قيل في ذلك أنه أدرك داود عليه السلام ، وأخذ عنه العلم ، وعاش طويلاً ، وهو ابن أخت أيوب عليه السلام ، وقيل ابن خالته . وفي تفسير الألويسي أنه كان رجلاً صالحاً حكيماً ، ولم يكن نبياً . وأياً كان لقمان فقد قرر القرآن الكريم أنه رجل آتاه الله الحكمة ، التي مضمونها ومقتضاها الشكر لله ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ وشكر الله إنما هو رصيد مَدَّخَرٌ للشاكر ينفعه هو ، والله غني عنه ، فالله محمودٌ بذاته ولو لم يحمده أحد من خلقه . ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (١) .

وقد حدثنا عنه القرآن الكريم حكيماً ومرشداً ، وواعظاً لابنه في سورة سُمِّيَتْ باسمه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَبْنِي لَنَا شُرَكَاءَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) . ما يريد الوالد لولده إلا الخير ، وما يكون الوالد لولده إلا ناصحاً ، وهذا لقمان الحكيم ينهى ابنه عن الشرك ، ويعلل هذا النهي بأن الشرك ظلم عظيم .

(١) سورة لقمان - من الآية ١٢ .

(٢) سورة لقمان - من الآية ١٣ .

ويؤكد هذه الحقيقة مرتين ، مرة بتقديم النهى وفصل علته : ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ . ومرة بأن واللام : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ والنصيحة من الوالد لولده مبرأة من كل شبهة ، بعيدة عن كل مظنة . إنها الحقيقة التي تجرى على لسان كل من آتاه الله الحكمة من الناس ، يُراد بها الخير المحض ولا يُراد بها سواه .

﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١).

ما يبلغ تعبيرٌ مُجَرَّدٌ من دقة عِلْمِ الله وشموله ، وعن قدرة الله سبحانه ، وعن دقة الحساب وعدالة الميزان ما يبلغه هذا التعبير المصور المعجز ، الجميل الأداء ، العميق الإيقاع : إن تك حبة من خردل صغيرة ضائعة لا وزن لها ولا قيمة ، فتكن « في صخرة » صلبة محشورة فيها لا تظهر ولا يتوصل إليها « أو في السماوات » ، في ذلك الكيان الهائل الشاسع الذي يبدو فيه النجم الكبير ذو الجرم العظيم نقطة سابحة ، أو ذرة تائهة . « أو في الأرض » ، ضائعة في ثراها وحصاها لا تبين - « يأت بها الله » ، فَعِلْمُهُ يلاحقها ، وقدرته لا تُفْلِتُهَا . إنها صورة رائعة يعرضها القرآن الكريم حتى يخشع القلب وينيب إلى الله اللطيف الخبير بخفايا الغيوب .

﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٢).

ويمضى السياق في حكاية لقمان مع ابنه وهو يعظه ، فيتابع معه خطوات العقيدة بعد استقرارها في الضمير بعد الإيمان بالله الذي لا شريك له ، واليقين بالآخرة التي لا ريب فيها ، والثقة بعدالة الجزاء . لا يفلت منه مثقال حبة من خردل . فأما الخطوة التالية فهي التوجه إلى الله بالصلاة ، والتوجه إلى الناس بالدعوة إلى الله ، والصبر على

(١) سورة لقمان - الآية ١٦ .

(٢) سورة لقمان - الآية ١٧ .

تكاليف الدعوة ومتاعبها ، وهذا هو طريق العقيدة المرسوم : توحيد الله ، وشعور بمراقبته ، وتطلع إلى ما عنده ، وثقة في عدله ، وخشية من عقابه .

ثم انتقال إلى دعوة الناس وإصلاح حالهم ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، والتزود قبل ذلك كله للمعركة مع الشر بالزاد الأصيل ، زاد العبادة لله ، والتوجه إليه بالصلاة ، ثم الصبر على ما يصيب الداعية إلى الله من التواء النفوس وعنادها ، وانحراف القلوب وإعراضها ، ومن الأذى تمتد به الألسنة ، وتمتد به الأيدي ، ومن الابتلاء في المال ، والابتلاء في النفس عند الاقتضاء . فالمقاوم للمُنْكَر لابد أن يرى عنتاً ومشقة وإرهاقاً في مقاومته إياه ، ولكن من نتائج الإيمان ومن مظاهره ملاقات العنت والمشقة بارتياح الطريق السليم ، وصَبْرُ المؤمن - وهو جزء من إيمانه - هو الذي يُنْجِيهِ ويُيسر له الأمر في النهاية . ﴿ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ . وعزم الأمور : قطع الطريق على التردد فيها بعد العزم والتصميم .

﴿ وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾  
\* وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١﴾

ويستطرد لقمان في وصيته التي يحكيها لنا القرآن الكريم هنا والتي تهم كل داعية إلى الله ، فالدعوة إلى الخير لا تجيز التعالي على الناس والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير . فينفر القرآن الكريم من الكِبَرِ وإمالة الخَدِّ للناس في تعالٍ واستكبار ، كما يُنْفِرُ الله ويمقتها الخلق . ويأمر بالمشية المعتدلة القاصدة ، مع عدم الإسراف ، وعدم إضاعة الطاقة في التبخر والتشني والاختيال ، المشية القاصدة إلى هدف ، والتي تمضي لقصدتها في بساطة وانطلاق . هذا بالنسبة لمشية الابن ، أما مشية البنت فأجمل ما جاء فيها هو وصف القرآن الكريم لابنة شُعَيْب في قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ ﴾ (٢) . تلك هي مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة النظيفة « على استحياء » في غير ما تبذل ولا تبرج ولا تبجح ولا إغواء .

(١) سورة لقمان - الآيتان ١٨ ، ١٩ .

(٢) سورة القصص - من الآية ٢٥ .

﴿ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ :

فالغض من الصوت فيه أدب ، وثقة بالنفس ، واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته ، وما يغلظ في الصوت إلا سيء الأدب ، أو شاك في قيمة قوله وشخصه ، مُحاولاً إخفاء هذا الشك بالحِدة والغلظة . والأسلوب القرآني يُرَدِّل هذا الفعل ويُقبّحه في صورة مُنفرة محتقرة بشعة حين يعقب عليه بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ . ويفسر الزمخشري في كتابه الكشاف هذه الجملة بقوله : « فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير ، وتمثيل أصواتهم بالنهاق ، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة ، وإن جُعِلُوا حميراً وأصواتهم نهاقاً . . . مبالغة شديدة في العزم والتهجين ، وإفراط في التنبيه عن رفع الصوت والترغيب عنه ، وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان » .

ويقول د . محمد البهي في كتابه « رأى الدين بين السائل والمجيب » : حتى قراءة القرآن لا تكون مبرراً لرفع الصوت وإزعاج الآخرين بالصوت المرتفع ؛ لأن طلب خفض الصوت في الحديث أو في الكلام أمرٌ مُطلَق وعام ، ولأن الإزعاج بالصوت ليس من آداب القرآن ، وإن كان القرآن نفسه هو المتلو بالصوت المرتفع .

**ومن وصايا لقمان الحكيم لابنه أيضاً :**

يا بُنَيَّ خذ عني هذه الخصال الثماني :

الأولى : إذا كنت بين الصلاة فاحفظ قلبك .

والثانية : إذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك .

والثالثة : إذا كنت بين النعمة فاحفظ خُلُقَكَ .

والرابعة : إذا كنت في دار الغير فاحفظ عينيك .

وأما الخصال الأربع الأخيرة . فكنْ ذَاكِراً أبداً لشيئين : الخالق ، والموت .

وكن ناسياً أبداً لشيئين : إحسانك في حق الغير ، وإساءة الغير في حقك .

- ومنها :

« إياك أن تُرَى الناس أنك تُخشى الله وقلبك فَاَجِر » .

## ٢- وصية الرسول ﷺ لابن عباس :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كُنْتُ خَلَفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « يَا غُلَامُ ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » (١).

وفى رواية عن الترمذى : « احفظ الله تجده أمامك . تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك . واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » .

## ٣- وصية نوح لابنه :

رَوَى عَنْ الرَّسُولِ ﷺ حَدِيثٌ صَحِيحٌ مَعْنَاهُ : أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا لما حضرته الوفاة قال لابنه : « إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ وَصِيَّةٌ : أَمُرُّكَ بِاثْنَتَيْنِ ، وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ : أَمُرُّكَ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهَ ، فَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ وَضَعْتَ فِي كَفَّةٍ ، وَوَضَعْتَ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهَ فِي كَفَّةٍ ، رَجَحَتْ بَيْنَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وَأَمُرُّكَ بِسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، فَإِنْ بَهَا صَلَاتٌ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ ، فَمَا الْكِبْرُ ؟ قَالَ الرَّسُولُ : « الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ » . أَى : التَّكْذِيبُ بِالْحَقِّ ، وَالتَّعَالَى عَلَى النَّاسِ وَاحْتِقَارُهُمْ .

وقالوا عن الكبر : إِنَّهُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الْعَجْبِ وَالْبَغْيِ مِنْ قَلْبٍ قَدْ اِمْتَلَأَ بِالْجَهْلِ وَالظُّلْمِ ، وَتَرَحَّلَتْ مِنْهُ الْعُبُودِيَّةُ ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ الْمَقْتُ ، فَنَظَرَهُ إِلَى النَّاسِ شَدَّرَ ، وَمَعَامَلْتَهُ لَهُمْ مَعَامَلَةَ الْاِسْتِثْنَاءِ لَا الْإِثَارِ .

## ٤- وصية على بن أبى طالب لابنه الحسن :

وَصَّى عَلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابْنَهُ الْحَسَنَ وَصِيَّةً طَوِيلَةً ، جَاءَ فِيهَا :

(١) رواه الترمذى - رياض الصالحين .

« واعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك ، ولن تعدو أجلك ، فخفض في الطلب ، وأجل في المكتسب ، فليس كل طالب بمرزوق ، ولا كل مجمل بمحروم ، وأكرم نفسك عن كل دنيّة وإن ساقتك إلى الرغائب ، فإنك لن تعتاض لما تبذل من نفسك عوضاً ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً ، واعلم أن اليسير من الله سبحانه وتعالى أعظم وأكرم من الكثير من خلقه ، وإن كان كُلُّ من عند الله عز وجل » (١).

وقال أيضاً :

« يا بني احذر من الأمور ثلاثاً ، ووافق ثلاثاً ، واستح من ثلاث ، وافزع إلى ثلاث ، واهرب من ثلاث ، واجتنب ثلاثاً وازج ثلاثاً .

احذر من الكبر ، والغضب ، والحرص المذموم . ووافق كتاب الله ، وسنة رسوله ، والصالحين من عباده . واستح من الله ، ومن الملائكة ، ومن الصالحين . وليكن فزعك خوفاً من المعصية ، وفزعك إلى التوبة ، وفزعك إلى طلب العلم . واهرب من الكذب ، والخيانة ، والظلم . واجتنب : الشر وأهله ، والنفاق وأهله ، والحمق وأهله . وازج : الله في غفران ذنوبك ، وفي قبول أعمالك ، وفي شفاعة نبيك ﷺ .

#### ٥ - نصيحة أم لولدها :

وقيل : إن محمد بن عبد الرحمن بن هشام القاضي المكي كان قصيراً دميماً ، وكان عنقه داخلاً في بدنه ، فسمعت امرأته ذات يوم وهو يقول : « اللهم أعق رقبتى من النار » ، فقالت له زوجته ، وأى رقبة لك حتى يعتقها الله من النار ؟ فقال لها : إن أُمى قالت لى يوماً : « يا ولدى إنك قد خلقت خلقة لا تصلح معها لمعاشرة الفتيان ، فعليك بالدين والعلم ، فإنهما يتممان النقائص ، ويرفعان الخسائس » ، فنفعنى الله بها قالت ، فاجتهدت في طلب العلم حتى وُلِّيتُ القضاء .

#### ٦ - وصية عقبة بن أبى سفيان لمؤدب ولده :

وقد روى الجاحظ من كلام عقبة بن أبى سفيان لمؤدب ولده ما يلى : « لِيَكُنْ أَوَّلُ مَا

تبدأ به من إصلاح أن تبدأ بإصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسنُ عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت » (١).

#### ٧- نصيحة محمد بن سوار لابن أخته :

ومن الحكم البليغة التي تروض الولد على مراقبة الله ، ما أوصى به محمد بن سوار لابن أخته سهل بن عبد الله التستري : « تَذَكَّرِ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكَ ، وَقُلْ بِقَلْبِكَ دَائِمًا : اللَّهُ نَازِلٌ إِلَيَّ . اللَّهُ شَاهِدٌ عَلَيَّ . اللَّهُ مَعِيَ . وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ وَنَازِلًا إِلَيْهِ وَشَاهِدًا عَلَيْهِ أَيْعِصِيهِ ؟ إِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ ، وَالزَّمِ الطَّاعَةَ » . وبذلك غرس في نفسه وهو صغير أكرم معاني الإيمان ، ومراقبة الله عز وجل .

#### ثانيًا : صلاح الآباء ينفع الأبناء :

إن صلاح الآباء ينفع الأبناء في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ففي الحياة الدنيا يقول العلامة الإسلامي أبو الحسن الندوى ، رئيس المجمع الإسلامي العلمي بالهند : « إنه مِنْ ضَمَنِ التَّصَرُّفَاتِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي حَدَّثَتْ بَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْنَ الْخَضِرِ أَنْ يَقِيمَ جِدَارًا أَوْشَكَ أَنْ يَنْقُضَ مِنْ غَيْرِ أَجْرَةٍ يَتَقَاضَاهَا ، وَذَلِكَ فِي قَرْيَةٍ لَمْ يَضِيْفْهُمَا أَهْلُهَا ، وَلَمْ يَعْرِفُوا حَقَّهُمَا . لَقَدْ أَصْلَحَ الْخَضِرُ الْجِدَارَ وَأَقَامَهُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لِيَتِيمَيْنِ مِنَ أَبْوَيْنِ صَالِحَيْنِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لُهُمَا ، لَوْ تَهَدَّمْ وَانْقَضَ هَذَا الْجِدَارُ لَانْكَشَفَ هَذَا الْكَنْزَ الدَّفِينُ . اخْتِطَفَهُ السُّرَّاقُ وَالنَّاهِبُونَ ، وَبَقِيَ الْغُلَامَانِ مِنْ غَيْرِ مَالٍ وَلَا رَصِيدٍ . وَهَكَذَا ظَهَرَ أَنَّ صَلَاحَ الْعَمَلِ يَنْفَعُ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْدْ أَنْ يَضِيعَ أَوْلَادُ الرِّجَالِ الصَّالِحِينَ » (٢).

مما يتقدم يتبين أن البذور الصالحة تظهر نتيجتها ، كما أن البذور الفاسدة تظهر نتيجتها ، والله تعالى يقول :

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ

(١) البيان والتبيين - ج ٢ .

(٢) سورة يوسف - من الآية ٩٠ .

أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَنِ أَمْرِ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿١﴾.

ويقول المرحوم سيد قطب في كتابه في ظلال القرآن : فهذا الجدار الذي أتعب الخضر نفسه في إقامته ولم يطلب عليه أجرًا من أهل القرية وهما جائعان ، وأهل القرية لا يضيفونهما . كان يخبىء تحته كنزًا لـغلامين يتيمين ضعيفين في المدينة ، ولو ترك الجدار ينقض لظهر من تحته الكنز ، فلم يستطع الصغيران أن يدفعاه عنه .

ولما كان أبوهما صالحًا فقد نفعهما الله بصلاحه في طفولتهما وضمفهما فأراد أن يكبرا ويشتد عودهما ويستخرجا كنزهما وهما قادران على حمايته .

أما في الآخرة :

فيصور القرآن الكريم مشاهد النعيم للمتقين في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ \* فَكِهِينَ يَمْأَأُ أَنَّهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ \* كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ \* مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجَهُم بَحُورٍ عِينٍ ﴾ (٢).

تحدث هذه الآيات عن المؤمنين الأتقياء الذين يدخلهم الله جنته ، حيث ينعمون برزق الله الوفير ، وخيره الكثير ، ووقايته لهم من النار .

ثم يصور القرآن الكريم مشهدًا آخر من مشاهد هذا التكريم ، فإذا ذريتهم المؤمنة تجتمع إليهم في هذا النعيم زيادة في الرعاية والعناية ، ولو كانت أعمال الذرية أقل من مستوى مقام المتقين ، وإن لم يبلغ الأبناء درجة الآباء في الإيمان مادامت هذه الذرية مؤمنة ، وذلك دون أن ينقص شيء من أعمال الآباء ودرجاتهم وثواب أعمالهم ، ودون أن

(١) سورة الكهف - الآية ٨٢ .

(٢) سورة الطور - الآيات من ١٧ - ٢٠ .

يحمل الآباء شيئاً من أخطاء ذرياتهم ، ودون إخلال بفردية التبعة ، وحساب كُلِّ بعمله الذي كسبه . . . إنها هو فضل الله على الجميع .

فيقول تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (١).

والسر في ذلك أنهم عاشوا على حَذَرٍ من يوم الحساب ، عاشوا في خشية من لقاء ربهم ، عاشوا مشفقين من حسابه ، عاشوا لذلك وهم في أهلهم وذريتهم حيث الأمان الخادع ، ولكنهم لم ينخدعوا ، وحيث المشغلة الملهية ، ولكنهم لم ينشغلوا ، عندئذٍ مَنْ الله عليهم ووقاهم عذاب السموم ، وقاهم الله تعالى هذا العذاب مِنَّةً منه وفضلاً ، لما علم من تقواهم وخشيتهم وإشفاقهم .

فالعمل لا يُدخل صاحبه الجنة إلا بِإِمْنَةٍ من الله وفضل ، فما يبلغ العمل أكثر من أن يشهد لصاحبه أنه بذل جهده ، ورغب فيما عند الله ، وهذا هو المؤهل لفضل الله تعالى .

كما يصور القرآن الكريم خوالج نفس الأبوة المطمئنة المستقيمة ، وهي تتوجه إلى الله داعية : ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ (٢).

دعوة القلب المؤمن أن يتصل عمل الأب الصالح في ذريته ، وأن يؤنس قلبه شعوره بأن في عَقِبِهِ مَنْ يعبد الله ويطلب رضاه .

والذرية الصالحة أَمَلُ الأب الصالح وهي آثَرُ عنده من الكنوز والذخائر ، وأروح لقلبه من كل زينة الحياة . دعاء يمتد من الوالدين إلى الذرية ليصل الأجيال المتعاقبة في طاعة الله تعالى ورضاه .

(١) سورة الطور - الآية ٢١ .

(٢) سورة الأحقاف - من الآية ١٥ .

وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (١).

وذلك أن كل إنسان مرهونٌ بعمله ، وأن كل امرئ بما كسب من عمل رهين ، فمعنى كل من الآيتين متفق وغير متعارض ، فلا توجد آية في القرآن تتعارض مع آية أخرى ، ولا يصطدم معنى مع معنى آخر في القرآن الكريم ، فأية سورة الطور قد حددت أن الآباء والأبناء متفقون في العقيدة الإيمانية ، وأن عمل الآباء بمقتضى الإيمان قد يزيد على عمل الأبناء ، ويريد الله سبحانه وتعالى - رحمة بالآباء - أن يلحق الأبناء المؤمنين بآبائهم المؤمنين ، وقد استبعد الله عز وجل الأبناء غير المؤمنين ، والله سبحانه يجزى كل مؤمن على قدر إيمانه وقدر عمله بمقتضى ذلك الإيمان . والزيادة التي يعطيها الحق تبارك وتعالى هي من فضل الله على المؤمنين من الآباء ، ورحمة من الحق سبحانه وتفضل منه جلّ وعلاً على الأبناء المؤمنين ، وذلك الفضل هو تكريم للآباء الذين اختاروا الإيمان والعمل به ، وهو امتنان من الحق على الأبناء المؤمنين ؛ ليزيد الله عطاءه لعباده المؤمنين من الآباء ، وفي ذلك حثٌّ للآباء المؤمنين على مزيد من العمل بمقتضى الإيمان ، وحثٌ للأبناء على اتِّباع آبائهم على هذا العمل الإيماني ، فإن قلَّ عمل الابن المؤمن عن عمل الأب المؤمن ، زادَ فضلُ الحقِّ للآباء المؤمنين بأن يُنزَلَ أبناءهم المؤمنين معهم في الجنة ، ولا يتعارض ذلك مع قوله تعالى :

﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (٢).

إن إلحاق الأبناء المؤمنين بمنزلة الآباء المؤمنين تكريم للآباء وفضل منه ، وفي ذلك يقول تعالى عن فضله الكريم :

﴿ قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٣).

**من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم :**

وعن استغفار الملائكة حملة العرش للذين آمنوا يقول تعالى :

(١) سورة فاطر - من الآية ١٨ .

(٢) سورة النجم - الآية ٣٩ .

(٣) سورة يونس - الآية ٥٨ وانظر : تأملات في سورة الكهف لأبي الحسن الندوي ، وفي ظلال القرآن لسيد قطب .

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ  
لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا  
وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ \* رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي  
وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَّحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ ﴿١﴾

ومع قيام حملة العرش بمهمتهم فإنهم لا يفترون عن التسييح ، فهم يسبحون بحمد  
ربهم على نعمه الجزيلة التي منحهم إياها ، وأسمى هذه النعم هذه الطبيعة المعصومة  
التي لا تغضب الله أبداً ، إنهم باستمرار في مرضاة من الله سبحانه ، ويؤمنون به ، أى :  
يترقى إيمانهم في كل لحظة تمر بسبب تسييحهم بحمد الله المستمر ، فالذكر قد جعله  
سبباً في زيادة الإيمان ورفيقه .

وهم يستغفرون للذين آمنوا ، ويعلمون طلبهم للمغفرة أن الله سبحانه وتعالى قد  
وسعت رحمته كل شيء ، ووسع علمه كل شيء ، ويلجئون إلى الله بالدعاء والضرعة  
ويُخَصُّون بدعائهم الذين تابوا من بين المؤمنين : ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا ﴾ وصدقوا في  
توبتهم ، وإذا صدقت التوبة استتبع العمل : ﴿ وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ ﴾ . . . ولم  
يطلبوا المغفرة فحسب ، وإنما سألوا أن يقيهم الله سبحانه وتعالى عذاب الجحيم ، وأن  
يدخلهم جنات عدن التي وعدهم . وأن يدخل معهم من « صَلَّحَ » من آبائهم  
وأزواجهم وذرياتهم . فالملائكة حملة العرش لم يسألوا الله سبحانه أن يدخل الجنة الآباء  
والأزواج والذرية على أى وضع كان ، وإنما خَصَّصُوا مَنْ صَلَّحَ منهم ، ثم سألوا الله في  
النهاية أن يقى هؤلاء الذين تابوا واتبعوا سبيل الله ومن صلح من الآباء والأزواج والأبناء  
معهم أن يقيهم السيئات في مستقبل حياتهم .

وتختتم الآيات بقوله تعالى : ﴿ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ آيات قرآنية عظيمة في  
غاية الجمال أسلوباً ومعنى (٢) .

(١) سورة غافر الآيتان : ٨٠٧ .

(٢) من محاضرة للإمام عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق .

## وثائق التأمين :

وإلى الآباء والأمهات الذين يُؤمّنون على حياتهم بوثائق تأمين لصالح أبنائهم بمبلغ من المال ، قَلَّ أو كَثُرَ ، معتقدين بذلك أنهم قد ضمنوا لهم المستقبل وأمّنوا لهم الحياة . . .

إلى هؤلاء نقول : إن نظام التأمين الحالى مُحَرَّمٌ ؛ لأنه لا يختلف عن الميسر في شيء ، حيث إن كل واحد يشترك في هذا التأمين إنما يُخاطرُ بثروته التي يشارك فيها ولا يدرى هل ستعود عليه بنفع أم ستنتقل إلى جيوب الآخرين . والإسلام قد حرّم كل أنواع الميسر ، وقرن تحريمها بالخنزير في قوله تعالى :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

وبجانب ذلك فإن شركات التأمين تتاجر بهذه الأموال فيما قد لا يبيح الإسلام التجارة فيها . . .

كما أن التأمين على الحياة بصورته الحالية محرم كذلك ، وذلك لاشتماله على الربا المحرم شرعاً ، ولعدم الارتباط بين قيمة التأمين وحصول الضرر ، فضلاً عن عدم تحديد هذه القيمة بالقدر الذى يجبر الضرر إذا وقع فعلاً .

والبديل الوحيد الذى يقرره الإسلام لأشكال التأمين التجارى المحرم هو التأمين التعاونى ، حيث إن عقد التأمين التعاونى يقوم على مبدأ التعاون الذى يُبنى على التبرع من أناس محسنين بدون الالتفات إلى مصلحة لهم ، وإنما الغاية مساعدة المحتاجين المصابين إذا دعت الحاجة إلى ذلك ، على أن تُنمى هذه الأموال وتُستثمر فيما يبيح الإسلام التجارة فيه . وعقد التأمين التعاونى الذى يُبنى على التبرع لا مجال فيه للضرر ، ولا مجال فيه للربا أو الشبهات التى يحرم بسببها التأمين التجارى شرعاً .

ومن ناحية أخرى يقول فضيلة الشيخ الشعراوى فى إحدى محاضراته : « إن التأمين

(١) سورة المائدة - الآية ٩٠ .

على الحياة يعلم الفرد بلاذة الحس الإيماني ، فعندما تحدث له حادثة لا يعتمد على الله ويقول يارب احفظني ، وإنما يعتمد على أموال التأمين القادمة . وإنَّ ما يحدث للفرد في ماله أو في أى شيء قد يكون مقصود الله منه أن يطهره .

والإسلام عند ما يُطبَّق ككل لا يحتاج إلى مسألة التأمين هذه إطلاقاً ، فالإسلام بناء لابد أن يكون موجوداً كله من أساسه بدون تليف أو حشر .

ومن طريف ما يُروى في هذا المجال : دخل مسلمة بن عبد الملك على الخليفة عمر ابن عبد العزيز وهو يجود بروحه ، فقال : « يا أمير المؤمنين إنك قد فَعَرْتُ أفواه ولدك من هذا المال ، فلو وصيت بهم إليّ ، وإلى نظرائى من قومك فكفوك مئونتهم » . فقال عمر - رحمه الله - لأصحابه من حوله : أَجْلِسُونِي . وما إنْ أَجْلَسُوهُ حتى قال : « قد سمعتُ مقالَتَكَ يا مُسَلِّمَة ، أما قولك : إني قد أَفَعَرْتُ أفواه ولدى من هذا المال ، فوالله ما ظلمتهم حقاً هو لهم ، ولم أكن أعطيهم شيئاً لغيرهم . وأما ماقلت في الوصية فإن واجبي فيهم : « الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » وإنما ولد عمر أحد رجلين : إمّا رجلٌ صالح فسيغنيه الله ، وإمّا غير ذلك ، فلن أكون أول من أعانه بالمال على معصية الله » .

وتمضى سنوات وسنوات ، ويدخل مقاتل بن سليمان على المنصور في يوم يبعته بالخلافة ، فيقول له المنصور : عِظْنِي يا مقاتل .

قال مقاتل : أعْظُكَ بما رأيتُ أم سمعتُ ؟

قال : بما رأيتُ .

قال : يا أمير المؤمنين ، ماتَ عمر بن عبد العزيز وقد خلف أحدَ عَشْرَ ولداً ، وترك ثمانية عشر ديناراً ، كُفِّنَ منها بخمسة ، واشترى له قَبْرٌ بأربعة ، ووزع الباقي على ولده .

ومات هشام بن عبد الملك ، فكان نصيب إحدى زوجاته الأربع من النقد دون الضياع ثمانين ألفاً . والله يا أمير المؤمنين لقد رأيتُ في يوم واحدٍ ولداً من ولد عمر بن

عبد العزيز يحمل مائة فرس في سبيل الله . وولدًا من ولد هشام بن عبد الملك يسأل  
الناس في الطريق .

\* \* \*

إِذَنْ ضِدَّ مَنْ أَوْمَنْ ؟

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ  
فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (١).

وليس معنى هذا أن الإسلام لا يبيح لنا أن نذخر لأولادنا أموالاً من أى نوع ، ولكن  
شُرط الإسلام الوحيد هو أن تكون مصادر هذه الأموال حلالاً صافياً لا شُبُهَة فيها . .  
وعلينا أن نتذكر دائماً قول الرسول ﷺ : « لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع : عن  
عُمره فيم أفناه ، وعن عِلْمه ماذا عمل به ، وعن شبابه فيم ضَيَّعه ، وعن ماله من أين  
اكتسبه وفيم أنفقه » (٢).

وقد كان عمر بن الخطاب يكرر كلما خلا إلى نفسه : « ماذا تقول لربك غداً ؟ » .  
وكان عمر بن العزيز يتخذ لنفسه شعاراً يردده دائماً ، وهو : « أخشى يوماً صبيحته  
القيامة » .

وقد حدد لنا كتاب الله الكريم وسائل الأمن والأمان والحماية والضمان لأنفسنا  
ولأولادنا ، وما علينا - نحن معشر الآباء والأمهات - إلا أن نخشى الله ونتقيه ونقول قولاً  
سدِيداً ، نخشى الله في كل شيء ، في أنفُسنا ، وفي أولادنا ، وفي أموالنا . ونتقى الله  
حيثما كُنّا ؛ لنعيش في رحاب قوله تعالى :

(١) سورة النساء - الآية التاسعة

(٢) متفق عليه .

﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (١).

ثالثاً: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾  
يقول الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ \* فَأَتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ (٢).

يحذر القرآن الكريم المؤمنين من فتنة الأزواج والأولاد والأموال ، ويدعوهم إلى تقوى الله والسمع والطاعة .

ثالثاً : ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾  
سُئِلَ ابن عباس رضى الله عنه عن هذه الآية فقال : هؤلاء رجال أسلموا من مكة ، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعُوهم ، فلما أتوا رسول الله رأوا الناس قد فقهوا في الدين ، فهموا أن يعاقبهم ، فأنزل الله :

﴿وَلِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣).  
ولست العبرة بخصوصية السبب ، فالنص القرآنى أشمل من الحادث الجزئى ،

---

(١) سبق تحريرها - عن : توصيات هيئة كبار العلماء ومجمع الفقه الإسلامى بالسعودية ، وتوصيات مجمع البحوث الإسلامية بمؤتمره الثانى بالقاهرة ، وآراء لجنة بالأزهر الشريف . وتوصيات ندوة التشريع الإسلامى التى انعقدت بليبيا عام ١٩٧٢ ومحاضرة لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى - وحديث لفضيلة الشيخ أحمد بن حمد الخليلى مفتى سلطنة عمان .

(٢) سورة التغابن - الآيات من ١٤ - ١٦

(٣) رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح .

وأبعد مدى ، وأطول أمداً . فهذا التحذير من الأزواج والأولاد لأن من الأزواج والأولاد من يكون عدواً ؛ لأنهم قد يكونون مَشْعَلَةً وَمُلْهَأَةً عن ذكر الله ، كما أنهم قد يكونون دافعاً للتقصير في تَبَعَاتِ الإِيْمَانِ اتقاءً للمتاعب التي تحيط بهم ، فلو قام المؤمن بواجبه فلقى ما يلقاه المَجَاهِدُ في سبيل الله ، مِنْ تعرضه لخسارة الكثير ، والتضحية بالكثير ، وقد يتعرض هو وأهله للعَنَتِ ، وقد يتحمل العنت في نفسه ولا يحتمله في زوجه وولده ، فيسخر ويحجن ؛ ليوفر لهم الأمن والاستقرار ، والمتاع والمال ، فيكونوا عدواً له ، لأنهم صدوه عن الخير ، وَعَوَّقُوهُ عن تحقيق غاية وجوده الإنساني العليا ، ومن ثم اقتضت هذه الحال التحذير من الله لإثارة اليقظة في قلوب الذين آمنوا ، والحذر من تسلل هذه المشاعر ، وضغط هذه المؤثرات .

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾

وكرر القرآن الكريم التحذير من فتنة الأموال والأولاد ، والفتنة هنا قد تكون بمعنيين :

فقد تكون الفتنة بمعنى الاختبار ، فالله سبحانه وتعالى قد يفتننا بالأموال والأولاد اختباراً لنا ، فالله سبحانه وتعالى يعلم أَنَّ حِرْصَ الناس على الأموال وعلى الأولاد من أعمق مواطن الضعف فيهم ، ولقد وهبهم الله سبحانه وتعالى الأموال والأولاد ليبلوهم بها ، ويفتنهم فيها ، فهي من زينة الحياة الدنيا التي تكون موضع امتحان وابتلاء ، ليرى الله فيها صنيع العبد وتصرفه : أيشكر عليها ويؤدي حق النعمة فيها ، أم يشتغل بها حتى يغفل عن أداء حق الله فيها ؟ ﴿ وَنَبِّئُكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ فالفتنة لا تكون بالشدة والحرمان وحدهما ، إنما تكون كذلك بالرخاء والعطاء في الأموال والأولاد ، وكل متع الحياة الدنيا وزينتها .

فإذا تَنَبَّه الإنسان المسلم إلى موضع الابتلاء والاختبار كان ذلك عوناً له على الحذر واليقظة والاحتياط والاستعلاء على فتنة الأموال والأولاد . فعلينا أن نتنبه لهذا ، ونحاذر، ونكون دائماً وأبداً يقظين ؛ لننجح في الابتلاء ونخلص ونتجرد لله .

وقد تكون هذه الأموال والأولاد فتنة لنا ، تُوقِننا بفتنتها في المخالفة والمعصية ، فلنحذر هذه الفتنة حتى لا نجرفنا وتبعدنا عن الله .

وقد روى الإمام أحمد بإسناده عن عبدالله بن بُرَيْدَةَ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ يَقُولُ :  
« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ ، فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَمْشِيَانِ  
وَيَعْتِرَانِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ ، إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ . نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتِرَانِ ، فَلَمْ  
أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا » . . . فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَهَذَانِ ابْنَا ابْنَتِهِ ، وَإِنَّهُ  
لَأَمْرٌ إِذْنٌ خَطِيرٌ ، وَإِنْ التَّحْذِيرُ فِيهِ لَضَرُورَةٌ يَقْدِرُهَا مَنْ خَلَقَ قُلُوبَ النَّاسِ وَأَوْدَعَهَا هَذِهِ  
الْمَشَاعِرَ ، حَتَّى لَا تَهَادَى أَوْ نَفِرُط .

لِذَلِكَ كَانَ النِّدَاءُ لِلَّذِينَ آمَنُوا : ﴿ فَانْقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ﴿ مَا يَتَجَلَّى فِيهِ  
لَطْفُ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَعِلْمُهُ بِمَدَى طَاعَتِهِمْ فِي تَقْوَاهُ وَطَاعَتِهِ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِذَا  
أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوا » <sup>(١)</sup> .  
فَالطَّاعَةُ فِي الْأَمْرِ لَيْسَ لَهَا حُدُودٌ ، وَمَنْ ثُمَّ يَقْبَلُ فِيهَا مَا يُسْتَطَاعُ ، أَمَا النَّهْيُ فَلَا  
تَجَزئة فِيهِ ، فَيَطْلُبُ بِكَامِلِهِ دُونَ نَقْصَانٍ .

إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ تَحْكِي قِصَّةَ رِجَالٍ أَسْلَمُوا بِمَكَّةَ ، وَمَنْعَهُمْ أَوْلَادَهُمْ  
وَأَزْوَاجَهُمْ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ لِحَاقًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَكَانَ التَّحْذِيرُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :  
﴿ إِنْ مِنْكُمْ مِنْ زَوْجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ ﴿ وَكَانَ التَّحْذِيرُ  
أَيْضًا : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ .

وَيَحْكِي لَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَيْضًا قِصَّةَ رَجُلٍ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى  
الْمَدِينَةِ ، وَلَكِنَّهُ خَشِيَ عَلَى أَوْلَادِهِ وَأَرْحَامِهِ مِنْ عَنَتِ كُفْرَارِ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ ، وَأَرَادَ أَنْ  
يَحْمِيَهُمْ ، فَضَعِفَتْ نَفْسُهُ ، وَكَانَتْ لَهُ كِبُورَةٌ ، وَمَنْ هُوَ ؟ إِنَّهُ صَحَابِيُّ جَلِيلٌ مِمَّنْ شَهِدَ  
بَدْرًا . . . فَكَانَ التَّحْذِيرُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة .

(٢) من الآية الثالثة من سورة الممتحنة . وانظر : في ظلال القرآن لسيد قطب

﴿ لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ﴾

يقول الله تعالى : ﴿ لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١)

كان بعض المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم في سبيل عقيدتهم لا تزال نفوسهم مشدودة إلى بعض مَن خَلَفُوا هنالك ، من ذرية وأزواج ، وذوى قربى .

وكان الله يريد استصفاء هذه النفوس وتجريدها لدينه وعقيدته ومنهجه ، فنزلت هذه الآية في حادثة حاطب بن أبى بلتعة ، ولكن مدى النص القرآنى دائماً أبعد من الحوادث المباشرة ، العبرة - كما يُقال - بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . حاطب بن أبى بلتعة من المهاجرين ، ومن أهل بدر أيضاً ، وكان له بمكة أولاد ومال ، فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة - لما نقض أهلها صلح الحديبية - أمر المسلمين بالتجهيز لغزوهم ، وقال : « اللهم عَمَّ عليهم خبرنا » .

وأخبر رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه بوجهته ، وكان منهم حاطب ، فعمد حاطب فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة مشركة من مُزَيْنَةٍ إلى أهل مكة يعلمهم بعزم رسول الله ﷺ على غزوهم ؛ ليتخذ بذلك عندهم يداً . فَأَطْلَعَ الله عز وجل رسوله على ذلك ، فبعث في أثر المرأة على أبى طالب ، وأبا مرثد ، والزيير بن العوام ، فأدركوها تسير على بعير فأمروها بإخراج الكتاب ، فأنكرت ، فقالوا لها : « لتخرجن الكتاب أو لَنَجْرَدَنَّكَ » فأخرجته ، وانطلقوا به إلى رسول الله ﷺ . فقال الرسول لحاطب : ما حَمَلَكَ على ما صنعت ؟ . قال حاطب : والله ما بى إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله - ﷺ - أردت أن تكون لى عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلى ومالى بمكة ، وليس لأحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله . . . فقال الرسول : « صَدَقَ ، لا تقولوا إلا خيراً » .

فقال عمر : إنه قد خانَ الله ورسوله والمؤمنين فدعنى لأضرب عنقه .

(١) سورة الممتحنة : الآية ٣ .

فقال الرسول : « أليس من أهل بدر ؟ لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة . فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم .

وإن كان هذا هو سبب النزول ، فإن مضمون النص القرآني أبعد مدى ، وأدل على أنه كان يعالج حالة نفسية أوسع من حادث بلتعة . يعالج مشكلة حُرْصٍ وحرِـ الآباء على الأبناء والذرية والأواصر القرية .

إن هذا الحادث يكشف عن منحنيات النفس البشرية العجيبة وتعرضها للحظات الضعف البشرى مهما بلغت من كمالها وقوتها ، وإنه لا عاصم إلا الله من هذه اللحظات ، فهو الذى يُعين عليها عند ما يلتزم الإنسان بأوامر الله ونواهيه .

﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ﴾ التى تهفون إليها وتتعلق قلوبكم بها وتضطركم إلى مخالفة منهج الله فى أى أمر من أمور الحياة الدنيا ، ذلك أنه ﴿ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ . . . فالله مطلع على العمل الظاهر .

كما يحذر القرآن الكريم الذين آمنوا ألا تلهيهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله : قال تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١) .

فالأموال والأولاد ملهأة ومَشْغَلَةٌ إذا لم يستيقظ القلب ويدرك غاية وجوده فى هذه الحياة الدنيا ، وهى عبادة الله . . قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) .

إن هذا التوجيه يبرز قيمة العقيدة ، ويجعلها هى الراية الوحيدة التى يقف تحتها المسلمون ؛ لتكون قيم الحياة وارتباطها كلها على أساس هذه العقيدة ، وليكون الدين

(١) سورة المنافقون - الآية التاسعة .

(٢) سورة الذريات - الآية ٥٦ .

الإسلامى الخفيف هو الذى يقود حياة الناس ويهيمن على نشاطها فى كل ميدان وفى كل تصرف .

### رابطة الإيمان هى أساس علاقة الوالد مع ولده :

يوضح لنا القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ﴾ \* قَالَ يَنْتَوِيحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعْهُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(١)</sup>

أن علاقة الوالد مع ولده لا تقوم على أساس رابطة الدم والنسب التى تجمعهما ، وإنما الأساس الوحيد التى تقوم عليه هذه العلاقة - وأى علاقة أخرى - هى رابطة الإيمان ، وصلة الدين ؛ فإن الصلة التى يتجمع عليها الناس فى هذا الدين ليست صلة الدم والنسب ، وليست صلة الأرض والوطن ، وليست صلة القوم والعشيرة ، وليست صلة اللون واللغة ، وليست صلة الجنس والعنصر ، وليست صلة الحرفة والطبقة . . . وليست . . . وليست . . . لأن كل هذه الصلات قد توجد جميعها ثم تنقطع العلاقة بين الفرد والفرد . . . كما قال تعالى لعبده نوح عليه السلام وهو يقول : ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ فقال تعالى : ﴿ يَنْتَوِيحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ ولماذا ؟ ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ !

إن صلة الإيمان قد انقطعت بين نوح وابنه ، فنوح يحسب أن ابنه من أهله ، ولكن الله سبحانه وتعالى يوضح له أنه ليس من أهله ، وإن كان هو ابنه من صلبه .

وهكذا نجد أن نظرة هذا الدين القويم إلى الصلات والروابط تجعل الأساس الوحيد لها هو صلة الدين ، رابطة الإيمان والعمل الصالح : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ ، فالصلة الوحيدة التى يعتبرها الإسلام هى صلة الدين ، والرابطة التى يقرها الإسلام هى رابطة الإيمان .

وهكذا يضرب لنا القرآن الكريم المثل فيما يكون بين الوالد المؤمن والولد المشرك فى قصة نوح عليه السلام وابنه . كما ضرب لنا القرآن الكريم المثل فيما يكون بين الولد

(١) سورة هود - الآيتان : ٤٥ ، ٤٦ .

المؤمن والوالد المشرك في قصة إبراهيم عليه السلام وأبيه آزر.

وبهذه الأمثلة وغيرها التي ضربها الله للأمة المسلمة في القرآن الكريم تتضح معالم الطريق عن حقيقة العلاقة والرابطة التي يجب أن يقوم عليها المجتمع المسلم ، ولا يقوم على سواها ، إنها الصلة في الله ، وإنها رابطة الإيمان .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١).

رابعاً : الرضا بقضاء الله عند فقد الولد :

جزاء الرضا عند الله :

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، قال : أخذ رسول الله ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، فانطلق به إلى ابنه إبراهيم ، فوجده يجود بنفسه ، فأخذه النبي ﷺ فوضعه في حجره ، فبكى ، فقال له عبد الرحمن : أتبكي يا رسول الله ؟ أو لم تكن نهيت عن البكاء ؟ قال : لا ، إنى لم أنه عن البكاء ، إنما نهيت عن صَوْتَيْنِ أَهْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ : صوت عند نعمة هو ولعب ومزامير شيطان . وصوت عند مصيبة : خمش وجوه ، وشق جيوب ، ورنه شيطان ، وهذا ( يعنى البكاء فقط ) رحمة ، ومن لا يرحم لا يُرحم » (٢).

(١) سورة المجادلة - الآية ٢٢ . وانظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ( بتصرف ) .

(٢) رواه الترمذى - تحفة الأحوذى - ج ٤ .

وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ . « مَنْ قَدَّمَ  
ثلاثة لم يبلغوا الحنث كانوا له حصناً حصيناً » (١).

الحنث : سن البلوغ وروى الطبرانى بإسناد جيد قول رسول الله ﷺ : « ما مِنْ  
مُسْلِمَيْنِ يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلّا جرى بهم يوم القيامة حتى يُوقَفُوا  
على باب الجنة ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة . فيقولون : حتّى يدخل آباؤنا . فيقال لهم  
: ادخلوا أنتم وآباؤكم » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يموت لأحد من المسلمين  
ثلاثة من الولد فتمسه النار إلّا بحِلَّةِ الْقَسَمِ » (٢).

وروى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ  
قال للنساء مرة : « ما منكن امرأة يموت لها ثلاثة من الولد إلّا كانوا لها حجاباً من النار »  
فقال امرأة : واثنان يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ . « واثنان » .

وعن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ كَانَ  
له فرطان من أمتى أدخله الله بهما الجنة » قالت عائشة : فمن كان له فرطٌ من أمتك ؟  
قال : ومن كان له فرطٌ يا مَوْثِقَةٌ ؟ قالت : فمن لم يكن له فرطٌ من أمتك ؟ قال : « فأنا  
فَرَطُ أمتى ، لن يصابوا بمثلى » (٣).

الفرط : المتقدم ، ومنه الدعاء للطفل الميت ، « اللهم اجعله لنا فَرَطًا » أى : أجراً  
يتقدمنا . يقال افترط فلان ابنه صغيراً : إذا مات قبله (٤).

وعن قرة المزنى رضى الله عنه ، قال : كان نبي الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من  
أصحابه ، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيُقْعِدُهُ بين يديه ، فهلك ،

(١) رواه الترمذى - تحفة الأحوذى - ج ٤ .

(٢) رواه الترمذى - تحفة الأحوذى - ج ٤ .

(٣) رواه الترمذى - تحفة الأحوذى - ج ٤ .

(٤) النهاية فى غريب الحديث - ج ٤ .

فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه ، فحزن عليه ، فافتقده النبي ﷺ ، فقال :  
 مالى لا أرى فلاناً ؟ فقالوا يا رسول الله ، ابنه الذى رأيته هلك . فلقى النبي ﷺ فعزاه  
 عليه ، ثم قال الرسول له : أيهما كان أحب إليك : أن تمتنع به عمرك أو لا تأتى غداً إلى  
 باب من أبواب الجنة إلاَّ وجَدْتَهُ قد سبقك إليه يفتح لك ؟ قال : يا نبي الله ، بل  
 يسبقنى إلى باب الجنة فيفتحها لى هو أحب لى . قال الرسول : فذاك لك ، فقال رجل :  
 يا رسول الله ، جعلنى الله فداءك ، أله خاصة أو لكلنا ، قال الرسول: بل لكلكم (١).

فما أجدر الآباء والأمهات أن يتذرعوا بالإيمان ، وأن يتسلحوا باليقين حتى إذا  
 أصابتهم مصيبة لم يجزعوا ، وإذا مات لهم ولد لم يتبرموا ، وإنما كان قولهم : إن الله ، وأنا  
 إليه راجعون ، فإنَّ الله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شىء عنده بأجل مسمى ،  
 فليصبروا ، وليحتسبوا ، حتى يحظوا بالثواب والأجر من عند من له الحكم والأمر ،  
 فاللهم هون علينا مصائب الدنيا ، ورَضْنَا بقضائك وقَدَّرِكَ ، وتولنا فى الدنيا والآخرة ،  
 يا خير المتولين ، يا رب العالمين .

ومن النماذج الرائعة للصبر والرضا عند فقد الولد ما وقع من أم سليم زوجة أبى  
 طلحة الأنصارى رضى الله عنهما ، والتى كان مهرها منه هو إسلامه ، والتى ذكرنا  
 حكايتها من قبل مع زوجها أبى طلحة عندما مات ولدها منه .

### تعزية رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل فى موت ابنه :

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، أنه مات له ابن ، فكتب إليه رسول الله ﷺ  
 يعزيه ، فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله - ﷺ - إلى معاذ بن  
 جبل ، سلامٌ عليك فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فأعظمَ الله لك  
 الأجرَ ، وألهمك الصبر ، ورزقنا وإياك الشكر ، فإنَّ أنفسنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا من  
 مواهب الله عز وجل الهنية ، وعواريه المستودعة ، نُمَتَّعُ بها إلى أجل محدود ، ويقبضها  
 بوقت معلوم ، ثم افترض علينا الشكر إذا أُعْطِيَ ، والصبر إذا ابتلى ، وكان ابنك من

(١) أخرجه النسائي وابن ماجه فى صحيحه ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

مواهب الله الهنية ، وعواريه المستودعة ، متعك به في غبطة وسرور ، وقبضه بأجر كثير ، الصلاة والرحمة والهدى ، إن احتسبت فاصبر ، ولا يحبطك جزعك أجرك فتندم ، واعلم أن الجزع لا يرد شيئاً ، ولا يدفع حزناً ، وما هو نازل فكأن قد ، والسلام» (١) .

وعن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « إذا مات ولدُ العبد ، قال الله للملائكة : قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم . فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم . فيقول : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول : ابنوا لعبدى بيتاً في الجنة ، وسمّوه بيت الحمد » (٢) .

ومعنى « استرجع » أى قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه أن ابناً لها في الموت فأتنا ، فأرسل يقرئ السلام ويقول : « إنا لله ما أخذ ، والله ما أعطى ، وكل شىء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب » (٣) .

وعن أم سلمة رضى الله عنها ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أُوْجِرْنِي فِي مَصِيبَتِي وَاخْلَفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا ، إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مَصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَهُ خَيْرًا مِنْهَا . قالت : ولما توفى أبو سلمة قلتُ كما أمرنى رسول الله ﷺ ، فأخلف الله لى خيراً منه ، رسول الله ﷺ » (٤) .

وهذا مصداق قوله تعالى في وصف المؤمنين ؛

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ \* أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿٥﴾ .

(١) أخرجه الحاكم وابن مردويه .

(٢) أخرجه الترمذى وابن جبان .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) سورة البقرة - الآيتان ١٥٦ و ١٥٧ .

وأرسل الإمام الشافعي رضي الله عنه إلى بعض أصحابه يعزيه في ابن له بقوله :

. إني مُعزّيكَ لا أني على ثقة من الخلود ولكن سُنَّة الدِّينِ

فما المُعزّي بباقي بعد مَيِّتِهِ ولا المُعزّي ولو عاشا إلى حين

وكتب الحسن بن وهب يعزّي ابن إسحاق عن ولده : « الأمير أعلمُ بالدِّين من أن يُدكَرَ به ، وبالدينِ من أن يُدَلَّ على ما خُلِقَتْ له . . كان الله لك في الدنيا ، ولفقيدك في الآخرة والسلام » .

وكتب الجاحظُ إلى بعض أصحابه يعزيه في ابن له بقوله : « أما بعد ، فإنَّ في الماضي قبلك الباقي لك بَعْدَكَ ، المأجور منك ، وإنما يُوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

obeikandi.com